**ما الحكمة فى تسليط أعدائه على اوليائه يسومونهم سوء العذاب**

**أعدائه على أوليائه يسومونهم سوء العذاب فكم لله فى ذلك من حكم باهرة منها حصول محبوبه من عبودية الصبر والجهاد وتحمل الاذى فيه والرضى عنه فى السراء والضراء والثبات على عبوديته وطاعته مع قوة المعارض وعلبته وشوكته وتمحيص أوليائه من أحكام البشرية ودواعى الطباع ببذل نفوسهم له وأذى أعدائه لهم وتمييز الصادق من الكاذب ومن يريده ويعبده على جميع الحالات ممن يعبده على حرف وليحصل له مرتبة الشهادة التى هى منى أهل المراتب ولا سىء أبر عند الحبيب من بذل محبة نفسه فى مرضات هو مجاهدة عدوه فكم لله فى هذا التسليط من نعمة ورحمة وحكمة وإذا شئت أن تعلم ذلك فتامل الآيات من أواخر آل عمران من قوله ( قد خلت من قبلكم سنن ) إلى قوله ( إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافونهم وخافون إن كنتم مؤمنين ) إلى قوله ( ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب ) فكان هذا التميز من بعض حكم ذلك التسليط ولولا ذلك التسليط لم تظهر فضيلة الصبر والعفو والحكم وكظم الغيظ ولولا حلاوة النصر والظفر والقهر فإن الاشياء يظهر حسنها بأضدادها ولولا ذلك التسليط لم تستوجب الاعداء المحق والإهانة والكبت فاستخرج ذلك التسليط من القوة إلى الفعل ما عند أوليائه فاستحقوا كرامتهم عليه وما عند أعدائه فا ستحقوا عقوبتهم عليه فكان هذا التسليط مما أظهر حكمته وعزته ورحمته ونعمته غى الفريقين وهو العزيز الحكيم وأى حكمة فى تكليف الثقلين وتعريضهم بذلك للعقوبة وأنواع المشاق ؟ فاعلم أنه لولا التكليف لكان خلق الانسان عبثا وسدى والله يتعالى عن ذلك وقد نره نفسه عنه كما نزه نفسه عن العيوب والنقائض قال تعالى ( أفحسبتم أنما خلقانكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون ) وقال ( أفحسبتم الانسان أن يترك سدى ) قال الشافعى " لا يؤمر ولا ينهى " ومعلوم أن ترك الانسان كالبهائم مهملا معطلا مضاد للحكمة فإنه خلق لغاية كماله وكما له أن يكون عالقا بربه محبا له قائما بعبوديته قال ( وماخلقت الجن والانس إلا ليعبدون ) وقال ( لتعلموا أن الله على كل شىء قدير وان الله قد أحاط بكل شىء علما ) وقال ( ذلك لتعلموا أن الله يعلم مافى السموات ومافى الارض وأن الله بكل شىء عليم ) فهذه المعرفة وهذه العبودية هما غاية الخلق والامر وهما أعظم كمال الانسان والله تعالى من عنايته به ورحمته له عرضه لهذا الكمال وهيأ له أسبابه الظاهرة والبطانة ومكنه منها ومدار التكليف على الاسلام والايمان والاحسان وهى ترجع الى شكر المنعم كلها دقيقها وجليلها منه وتعظيمه وإجلاله ومعاملته بما يليق أن يعامل به فتذكر آلاؤه وتشكر فلا يكفر ويطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى هذا مع تضمن التكليف لا تصاف العبد بكل خلق جميل وإثباته بكل فعل جميل وقول سديد واجتنابه لكل خلق سىء وترك كل فعل قبيح وقول زور فتكليفه متضمن لمكارم الاخلاق ومحاسن الافعال وصدق القول والاحسان الى الخليفة وتكميل نفسه بانواع الكمالات وهجر أضداد ذلك والتنزه عنها مع تعريضه بذلك التكليف للثواب الجزيل الدائم ومجاورة ربه فى دار البقاء فأى الامرين أليق بالحكمة هذا أو إرساله هملا كالخيل والبغال والحمير يأكل ويشرب وينمح كالبهائم ؟ أيقتضى كماله المقدس ذلك ؟ ( فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم ) وكيف يليق بذلك الكمال طى بساط الامر والنهى والثواب والعقاب وترك إرسال الرسل وإنزال الكتب وشرع الشرائع وتقرير الاحكام ؟ وهل عرف الله من جور عليه خلاف ذلك ؟ وهل ذلك ما أنزل الله على بشر من شيء ) فحسن التكليف فى العقول كحسن الاحسان والانعام والتفضل والطول بل هو من أبلغ أنواع الاحسان والانعام ولهذا سمى سبحانه ذلك نعمة ومنة وفضلا ورحمة وأخبر أن الفرح به خير من الفرح بالنعم المشتركة بين الابرار والفجار قال تعالى ( ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا ) فنعمة الله ها هنا نعمته بمحمد صلى الله عليه وسلم ومابعثه به من الهدى ودين الحق وقال ( لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولامن قبل لفى ضلال مبين ) وقال تعالى ( هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم . ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ) وقال ( وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ) وقال ( قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون ) وقال ( اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا ) وقال ( واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به ) وقال ( واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم فى كثير من الامر لعنتم ولكن الله حبب إليكم الايمان وزينة فى قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم ) وقال لرسوله ( وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما ) وهل النعمة والفضل فى الحقيقة إلا ذلك وتوابعه وثمرته فى القلوب والابدان فى الدنيا والآخرة ؟ وهل فى العقول السليمة والفطر المستقيمة أحسن من ذلك وأليق بكمال الرب وأسمائه وصفاته ؟**

**من كتاب شفاء العليل**

**ابن القيم الجوزى**